الصباح الإسلامية

AL-SABAH

No. 5213 | الأحد | 4 محرم 1447 هـ | 29 يونيو 2025 م | السنة الثامنة عشرة

Alsabah Media www.alsabahpress.com

الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

«موج من فوقه موج»

هذه حقيقة تم الوصول اليها بعد إقامة مئات من المحطات البحرية.. والتقاط الصور بالأقمار الصناعية.. والذي قال هذا الكلام هو البروفســـور شرايدر.. وهو من أكبر علماء البحار بألمانيا الغربية.. كان يقول: إذا تقدم العلم فلا بد أن يتراجع الدين.. لكنه عندما سمع معاني آيات القرآن بهت وقال: إن هذا لا يمكن أن يكون كلام بشر..

ويأتي البروفسور دورجاروا أستاذ علم جيولوجيا البحار ليعطينا ما وصل إليه العلم في قوله تعالى: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَـــاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نور}.. سورة النور: 40.

فيقول لقد كان الإنسان في الماضي لا يستطيع أن يغوص بدون استخدام الآلات أكثر من عشرين مترا.. ولكننا نغوص الآن في أعماق البحار بواسطة المعدات الحديثة فنجد ظلاما شديدا على عمق مئتي متر.. الآية الكريمة تقول: (بَحْرٍ لُّجِّيٍّ) كما.. أعطتنا اكتشافات أعماق البحار صورة لمعنىً قوله تعالى: {ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْض}.

فالمعروف أن ألوان الطيف سبعة.. منها الأحمر والأصفر والأزرق والأخضر والبرتقالي إلى آخره.. فإذا غصنا في أعماق البحر تختفي هذه الألوان واحدا بعد الآخر.. واختفاء كل لون يعطي ظلمة.. فالأحمـــر يختفي أولا ثم البرتقالي ثم الأصفر.. وآخر الألوان اختفاء هو اللون الأزرق على عمق مئتي متر.. كل لون يختفي يعطي جزءا من الظلمة حتى تصل إلى الظلمة الكاملة. أما قوله تعالى: {مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ} فقـــد ثبت علميا أن هناك فاصلا بين الجزء العميقَ من البحر والجزء العلوي.. وأن هذا الفاصل مليء بالأمواج فكأن هناك أمواجا على حافة الجزء العميق المظلم من البحر وهذه لا نراها وهناك أمواج على سطح البحر وهذه نراها.

فكأنها موج من فوقه موج.. وهذه حقيقة علمية مؤكدة ولذلك قال البروفسور دورجاروا عن هذه الآيات القرآنية: إن هذا لا يمكن أن يكون علما بشريا.

أمهات المؤمنين

خديجة بنت خويلد

أم المؤمنين

«والله ما أبدلني الله خيراً منها.. قد آمنت بـــي إذ كفر بي الناس وصدقتنـــي إذ كذبنـــي الناس ، وواستني بمالها إذ حرمنـــي الناس ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء» حديث شريف.

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية كانت تدعى قبل البعثة الطاهرة.

بداية التعارف

كانت السيدة خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال، فلما بلغها عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صدق حديثه وعظيم أمانته وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضـت عليه أن يخرج في مال لها الى الشام تاجراً، وتعطيـه أفضَل ما كانت تعطي غيره من التجـار، مع غلام لها يقال له مَيْسَـرة، فقبل الرسول -صلى الله عليه وسلم- وخرج في مالها حتى قَدِم الشام.

وفي الطريق نزل الرسول -صلى الله عليه وسلم- في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان فسأل الراهب ميسرة: «من هذا الرجل؟».. فأجابه: «رجل من قريش من أهل الحرم»... فقال الراهب: «ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي».

ثم وصلا الشـــام وباع الرسول -صلى الله عليه وسلم- سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد، ثم أقبل قافلا الى مكة ومعه ميسرة، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يـــرى مَلَكين يُظلانه -صلى الله عليه وسلم- من الشمس وهو يسير على بعيره، ولما قدم -صلى الله عليه وسلم- مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فربحت ما يقارب الضعف.

الخطبة والزواج

وأخبر ميسرة السيدة خديجة بما كان من أمر محمد -صلى الله عليه وسلم- فبعثت الى رسول الله وقالت له: «يا ابن عمّ ! إني قد رَغِبْتُ فيك لقرابتك، وشرفك في قومك وأمانتك، وحُسْنِ خُلقك، وصِدْق حديثك» ثم عرضتَ عليهَ نفسهَا، فَذكر الرسول -صلى الله عليه وسلم- ذلك لعمّه الحبيب الذي سُر وقال له: «إن هذا رزق ساقهُ الله تعالى إليك».

ووصل الخبر الى عم الســـيدة خديجة، فأرسل الى رؤساء مُضر، وكبراءِ مكة وأشرافها لحضور عقد الزواج المبارك، فكان وكيل السيدة عائشة عمّها عمرو بن أسد، وشركه ابن عمها ورقة بن نوفل، ووكيل الرسول -صلى الله عليه وسلم- عمّه أبو طالب.

وكان أول المتكلمين أبو طالب فقال: «الحمد للـــه الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل وضئضئ معـــد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وســـواس حرمه، وجعـــل لنا بيتاً محجوباً وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا، محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح به، وإن كان في المال قِلاً، فإن المال ظِلّ زائل، وأمر حائل، ومحمد مَنْ قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وقد بذل لها من الصداق ما آجله وعاجله اثنتا عشرة أوقية ذهباً ونشاً -أي نصف أوقية- وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل».

ثم وقف ورقة بن نوفل فخطب قائلا: «الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت، وفضلنا على ما عددت، فنحن سادة العرب وقادتها، وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم، ولا يردُّ أحدٌ من الناس فخركم ولا شرفكم، وقـــد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم، فاشهدوا يا معشر قريش بأني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبدالله».

كما تكلم عمُّهـــا عمرو بن أســـد فقال: «اشهدوا عليّ يا معاشـــر قريـــش أنّي قد أنكحـــت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد» وشهـــد على ذلك صناديد قريش.

الذرية الصالحة

تزوج النبي -صلى الله عليه وسلم- السيدة خديجة قبل البعثة بخمس عشرة سنة، وولدت السيدة خديجة للرسول -صلى الله عليه وسلم- ولده كلهم إلا إبراهيم، القاسم -وبه كان يكنى-، والطاهر والطيب -لقبان لعبد الله -، وزينب، ورقيـــة، وأم كلثـــوم، وفاطمـــة فأما القاســـم وعبد اللـــه فهلكا في الجاهلية، وأما بناتـــه فكلهـــن أدركـــن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه -صلى الله عليه وسلم-.

إسلام خديجة

وبعد الزواج الميمون في خمسة عشر عاما نزل الوحي على النبي -صلى الله عليه وسلم- فآمنت به خديجة، وصدقت بما جاءه من الله، وآزرته على أمره، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله، وصدقت بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن نبيه -صلى الله عليه وسلم- لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عليه وتصدقه، وتهون عليه أمر الناس، قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قَصَب -اللؤلؤ المنحوت-، لا صخب فيه ولا نصب».

فضل خديجة

جاء جبريل إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقال: «إن الله يقرأ على خديجة السلام»... فقالت: «إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله».

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «خيرُ نسائها مريم، وخير نسائها خديجة».

عام المقاطعة

ولّما قُضي على بني هاشم وبني عبد المطلب عـــام المقاطعة أن يخرجوا من مكة الى شعابها، لم تتردد السيدة خديجة في الخروج مع رســـول الله -صلى الله عليه وسلم- لتشاركه أعباء ما يحمل من أمر الرسالة الإلهية التي يحملها وعلى الرغم من تقدمها في السن، فقد نأت بأثقال الشيخوخة بهمة عالية وكأنها عاد إليها صباها، وأقامت في الشعاب ثلاث سنين، وهي صابرة محتسبة للأجر عند الله تعالى.

الدعاء المستجاب

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون}.. البقرة آية 186. فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قالت اليهود كيف يســـمع ربنا دعاءنا يا محمد وانت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كلّ سماء مثل ذلك؟ فنزلت هذه الآية.

وقال الحسن: سببها أن قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزلت، وقال عطاء وقتادة لما نزل قوله تعالى: {وقال ربكم أدعوني أستجب لكم}.. غافر آية 60. قال يا قوم: في أي ساعة ندعوه؟ فنزلت أي إذا سألك عبادي عن المعبود فاخبرهم يا محمد أنه قريب يثيب على الطاعة ويجيب الداعي وأنه قريب من اوليائه بالإفضال والأنعام، لقد امر الله عباده بالدعاء وحض عليه وسماه عبادة ووعد بانه يستجيب لهم.

فعن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أعطيت أمتي ثلاثا لم تعط إلا الأنبياء كان اللـــه إذا بعث نبياً قال: أدعني أستجب لك. وقال لهذه الامة أدعوني أستجب لكم، وكان الله إذا بعث نبياً قال له: ما جعل عليك في الدين من حرج. وقال لهذه الامة: ما جعل عليكم في الدين من حرج وكان الله إذا بعث نبي جعله شهيدا على قومه وجعل هذه الامة شهداء على الناس.

وللدعـــاء شروطـــه وآدابه حتى يستجيبه الله تعالى وأولها اجتناب الاعتداء المانع من الاجابة حيث قال في آية اخرى: {أدعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين} ولا يدعوا الداعي باثم أو قطعية رحم وما لم يستعجل وإلا يأكل الداعي الحرام ففي الحديث: (ما بال الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فآنى يستجاب له ذلك). وقد قال العلماء ان اجابة الدعاء لابد لها من شروط في الداعي وفي الدعاء وفي المدعو به، فمن شرط الداعي أن يكون عالما بأنه لا يقدر على حاجته إلا الله تعالى وأن الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب من قلب غافل لاه، وأن يكون مجتنباً لأكل الحرام، والا يمل من الدعاء.

ومن شرط المدعو فيه ان يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال ما لم يدع بإثم أو قطعية رحم فيدخل في الاثم كل ما يأثم به من الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المســـلمين ومظالمهم، وأما شروط الدعاء فسبعة أولها التضرع والخوف والرجاء والمرؤه والخشوع والعموم وأكل الحلال.

وقال ابن عطاء ان للدعاء أركاناً واجنحة وأسبابا وأوقات فان وافق أركانه قوي وان وافق أجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه نجح فأركانه حضور القلب والرأفة والاستكانة والخشوع وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل شرائط الدعاء أربعة أولها حفظ القلب عند الوحدة وحفظ اللسان مع الخلق وحفظ النظر الى ما لم يحل وحفظ البطن من الحرام.

وقد قيل لإبراهيم بـــن آدهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ قال لأن قلوبكم قد ماتت. قالوا وما الذي أماتها؟ قال عشر خصال قالوا وما هي؟ قال عرفتم حق الله ولم تطيعوه، وعرفتم حق الرسول ولم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن ولم تعملوا به، واكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الاموات ولم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس فاســـخطتم ربكم وخالقكم فكيف يستجيب الله بعد ذلك لدعائكم.

والدعاء المطلـــوب في كل الاوقات غير أنه في بعض الأوقات أكبر ومن هذه الاوقات السجود وعند الاذان والاقامة وبينهما في الســـحر وعند جلوس الخطيب بين الخطبتين ويوم الجمعة وعند نزول المطر وعند التقاء الجيشين وفي الثلث الاخير من الليل وفي المرض وفي السفر وليلة النصف من شعبان وليلة القدر وفي الصيام وليلتي العيدين ويوم عرفة وهو في بعض الاماكن أجدر بالقبول في المساجد وعند قبر الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وفي الروضة الشريفة وفي المسجد الحرام وفي المسجد الاقصى وفي مقام ابراهيم وفي حجر أسماعيل وفوق عرفات.

والدعاء مقبول ولكن هناك دعوات لا يردها الله تعالى وهي دعوة الصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم ودعوة المرء الى اخيه في ظهر الغيب ودعوة الوالد لولده او عليه ودعوة الامام العادل ودعوة المسافر ودعوة الغائب للغائب ودعوة الرسل والانبياء والصالحين والدعاء باسم الله الاعظم والدعاء بالمأثور من القرآن والســـنة وآثار الصالحين.

والدعاء تتنوع الاجابة له فقد يعطي المرء مطلوبه وقد يرفع الله عنه به مكروها وقد يدحز له من الكرامة في الاخرة ما هو في حاجة اليه وخير دعوة هي ما ادخرها رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفاعة لأمته يوم القيامة فهي نائله ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً.

ومن المواقـــف الايمانية في الدعاء المأثور أن نبي الله موسى عليه السلام كان يرعى غنم الرجل الصالح الذي استأجره (نبي الله شعيب) فنزل بها يومـــا في واد يقال له وادي الذئاب، ونظر حوله فـــاذا بالذئاب تحيط بغنمه من كل جانـــب وقد أدركه التعب والنصب ولم يقو على رعيها فاتجه الى الله يدعوه دعاء المضطر قائلا اللهم أحاط سبعة علمك وسبعة تدبيرك وتفدت ارادتك وكلت حيلتي وأنت تعلم أني مؤتمن عليها رعها لي والقى بعصاه ونام فلما استيقظ وجد الذئاب تحيط بغنمه حتى لا تشرد منها الشاه ووجد كبير الذئاب وقد أمسك بعصاه، فقال الهي وسيدي ما هذا الذي أراه؟ فقال الله تعالى يا موسى لا تعجب مما ترى يا موسى كن لي كما أريد أكن لك ما تريد.